أبن زيدون المخزومى

وقصيدته

النونيـــة

دراسة تحليلية نقدية

إعـــداد

د/آمال محمود السباعي

المدرس بقسم الأدب والنقد

التعريف بابن زيدون

نبذة عن الشاعر وبيئته :-

هو ذوالوزارتين أبو الوليد أحمدبن عبدالله بن أحمدبن غالب بن زيدون [١] المخزومى ، من سلالة بنى مخزوم من بطون قريش النازحة ،الى بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامى لهذه البلاد .

مولده ونشأته :

ولد أبن زيدون فى رصافة قرطبة ، فى بيت علم وجاه وغنى سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٣-١٠٠٤م) ،واستقى من معين والده العالم الجليل الفقيه المعروف بالنباهه والعلم وحب الأدب ، بجانب مكانته السياسية المرموقة [٢]. وظل يتابع أبنه ويأخذ بيده فى سبيل العلم حتى وافته المنية ، وهو لم يجاوز الحادية عشر من عمره وكان على الصبى الصغير ان يشق طريقه فى الحياة معتمدا على نفسه سالكا طاريق النابهين من ابناء عصره ، اعنى طريق الثقافه والعلم والادب وارتبط ابن زيدون بجده لامه القاضى ابو بكر محمد ابن عبد الرحيم ابن سعيد القيسى (٣٥٥ - ٤٣٢ هـ)

---

(١) تاريخ الادب العربى د / عمر فروخ جـ ٤ / ٥٨٨ / دار العلم للملايين .

(٢) ديوان ابن زيدون / ٩ الشرح ١ / كامل كيلانى دار صادر بيروت

الذى تولى تربيته بعد وفاة والده بالبيرة مما جعله يواصل مشواره نحو العلم والثقافه برحابة وسعة صدر نشا ابن زيدون اواخر ايام الامويين وأوائل عهد ملوك الطوائف ورافق ذلك صراع الطامعين فى أقاليم الدولة وازياد حدة التنافس بينهم للرغبة فى الملك والسيطرة على الاقاليم والرغبة فى اجتياز المال والسلاح والجاه .

"وكان للكتاب فى دواوين الانشاء مكانة سامية واعطيات سنية ...." (١)

ولا يحظى بالعمل فى هذه الدواوين إلا من أوتى علما وافرا وموهبة متميزة فى صناعة الكتابة وهذه المهنة يرغب إليها عدد وفير ممن يشتغلون بالادب ، فيجدالعالم فيها بغيته من الحصول على وظيفة هامة تحقق له حياة مطمئنة تسمو به الى درجة رفيعة من الجاه والثروة ، مما حدا بأبن زيدون أن يطمع فى الاستفادة من إمكانات العصر فى تحقيق ما يصبواليه من امال ، وبخاصة فى المجال السياسى المنشوده وكان اهل قرطبة يخافون من عواقب الاضطراب والفوضى التى انتشرت فى البلاد فاسرعوا بمعالجة الموقف المتردى ووجدوا فى ابى الحزم بن جهور حاكما قديرا فولوه امر

---

(١) تاريخ الادب العربى / احمد حسن الزيات / ٢٣٠ ، ٢٣١ وما بعدهما(بتصرف)

المدينة ، واهتم بنتظيم الامور وأنشأ فى قرطبة دويلة من دويلات الطوائف (١) ، وشجع على ارتياد مجالس العلم والاستزاده منها وجمعت بين ابن جهور وابن زيدون صداقة حميمة ، مما جعل ابن جهور يتوسم فى ابن زيدون دلائل النجابة والحنكة السياسية مع ما تميز به من شاعرية متفرده وقدرة على الكتابة الفنية النادرة ، فأحتفى به وقربه اليه واصطفاه ووكل اليه القيام بمهام جليلة فى دولته الوليدة بين اعمال الوزارتين " الاستشارية والتنفيذية " ، وخول فى ذلك المنصب المرموق التصال بالحكومات الاجنبية بصفته سفيرا عن الملك ، وقام ابن زيدون بهذه السفارة لابن جمهور لدى ملوك الاقاليم المجاورة بجدارة واقتدار ووفاء نادر ، فخوطب فى الميل عن صاحبه وأغرى فى الانضمام إلى بعض مثافسيه ، ولكن الوفاء لصديقه منعه من الغدر بولى نعمته ، ورفض كل العروض على الرغم من شدة إغرائها ولكن الحاسدين والحاقدين لم يدعوه لينعم بما وصل اليه من مكانه وجاه فدّسوا له عند أبى جهور حتى غيرّواقلبه عليه ،فتنكرله ، وأودعه السجن ،ووجد أبن زيدون نفسه وقد تجرد من عزةً وجاه فدسوا له عند ابي جهور حتي غيروا قلبه عليه ، فتنكر له ، واودعه السجن ، ووجد ابن زيدون نفسه وقد تجرد من عزه وجاهه يعاني من قيود كبل بها ظلما وعدوانا ، فاتخذ

---

(١) تاريخ الادب العربي عمر خروج / ج ٣، ٤٥ . ج ٤ / ٥٩٠

من ادبه الجم وسيله للتعبير عما حل به من مصائب ، ففاضت قريحته بجلة من القصائد التي عبر فيها عن حزنه العميق ونفسيته المتاججه المضطربه والمشوبه بالالم والحسره [١]

---

(١) في الادب العربي الحديث _ بحوث ومقالات نقدية _ يوسف عز الدين ص ١٧٥ وما بعدها / الهيئه المصرية العامة للكاتب / ١٩٧٣ م القاهرة

شاعرية ابن زيدون و أثرها علي أدبه :-

إن ما ذكره الرواةمن تراث أدبي زاخر لابن زيدون ، ليؤكد للمتلقي ان أدبه الجم منارة يهتدي بها من ضل الطريق ، واقد تضافرت عدة عوامل كان لها اثر كبير في تكوين شاعريته

خلقا وعلما وادبا ، ثم ما كان له من حسن استعداده ، وشدة ذكائه ووفرة طموحة ، وقد توفرت له فرص تلقي العلم علي يد والده اولا ، فورث المجد اباً عن ابٍ [1] وتوج هذه الوراثة بالاستفاده من علماء عصره الأجلاء ، ومن شيوخه الفقية القاضي ابوالعباس احمد بن عبد الله بن ذكوان (٣٤٣- ٤١٣ هـ)، وابوبكرمسلم بن احمدالقرطبي النحوي(٤٣٢) بالاضافة الي نشاته في قرطبه قبلة العلماء والادباء برياضها النضرة وبساتينهاالغناء، ومساجدها العامرة ومدارسها النشطة المتحضره .

واستطاع ابن زيدون بدراساته الخاصة أن يطبع شعره بميسمه الخاص المستمد من أخلاقه ، وقراءاته ومعارفه جعل يتأثر بالتراث الشعرى العربى وبخاصة فى الادب العباسى ، تاثر المتمكن الذى يهضم التراث ثم يخرجه إخراجا جديدا ولعل ذلك ما جعل غالبية

---

(١) عصر الدول والامارات – الاندلس – الدكتور / شوقى ضيف ٢٨١ وما بعدها ، دار المعارف

النقاد يقولون بانه بحترى المغرب ، ولما جاء به شعره من ديباجة موسيقية متميزة ،ولعل ما حدث لابن زيدون من فقده لوالده صغيرا جعله يعتمد على نفسه فى مشواره الادبى مما وسع مداركه وأفسح المجال امامه للتغلب على الصعاب التى اكتنفت حياته بسبب اشتغاله بالسياسة وما ناله من حظوه وحفاوة لدى الخليفة ابى الحزم ابن جهور(١) كل ذلك جعله يذوق حلو الايام ومرها فى ظلال السلطان وجاه الوزارة ويعانى ذل السجن المطبق وآلام القيد ، بالإضافة الى معرفته بولادة بنت المستكفى الجميلة الفاتنة والشاعرة المجيدة ذات المجالس الادبية الشهيرة وقد صادفت فى ابن زيدون فتى وسيم المحيا حلو الحديث قوى العارضة رقيق الشعر وصادف هو منها رقة وجمال تطورا حتى صار حبا عيقا

المصدر السابق ٢٨٢

آراء النقاد في ابن زيدون

عرف ابن زيدون من بين أقرانه بملكة إبداعية متفردة وكان للنقاد وقفه في الحديث عن شخصيته وعن شعره ، عبَّروا فيها عن الاعجاب به وادبه .

و لنعرض نماذج من هذه الاقوال حتي يتسني لنا الإلمام بما تميز به أدبه ولنفيد منها في الدراسة ، فقال عنه أصحاب المنتخب من عصور الادب ، [1]

"أبن زيدون شاعر كاتب وله في هذين الميدانين مكانه ومكان: كان ملوك الطوائف – عصر أبن زيدون – يعنون بالأدب والأدباء فلا يستوزرون وزيراً غير أديب ومن كان شاعرا فقط أو كاتبا فقط سموه الوزير وقربوه منهم ، ومن جمع الي نبوغه النثري نبوغا في الشعر سمي ، ذا الوزارتين وكان اقربهم إلى نفوسهم وأعلى مكانا ومن هؤلاء ابن زيدون

ولذلك كانت تتهاداه ملوك الطوائف ، بل كانوا يتنافسون فى اجتذابه اليهم ".(٢)

وقال الدكتور شوقي ضيف :" وكان أبن زيدون يحسن ضرب الخواطر والمعاني القديمة او الموروثه في عُملة أندلسية جديده فيها الفن وبهجة الشعر ، وما يُفصح عن أصالته وشخصيته .....

---

(١) المنتخب من عصور الادب : د/ ذو النون المصري الجميل يالا شترلك ج ٢/٢٣/عالم الكتب / القاهره .

(٢)المصدر السابق جـ ٢ / ٢٣

وأبـــن زيدون من خير النماذج التي تكشـــف لنا المنزعين فهو لا يخـــرج في شعره عن القواعد الموروثة ،وفى نفس الوقت ينبض شعره بحيـــاة عصره وما كان فيه من حضارة وترف باذخ وإغراق فـــي الحسن والخمـــــــر واللـــــذة .

فأتصاله بالماضي لم يحل بينه وبين تصور الحاضر الذي عاش فيه [١] "

وهذا الراي جاء من إعجاب الدكتور شوقي ضيف بابن زيدون وأنه استطاع أن يحـافظ علـي التقالـيد الموروثـه والتـي تـتعلق بجوهـر القصيدة العربية مع التطوير والتجديد الذي يتلاءم وظروف البيئة الاندلسية .

أما الدكتور جودت الركابي فيري أنه في طبقة متميزه من شعراء الاندلس ، فقد كان قوي اسر الكلام ، جيد التعبير الأدبى ، يشتد ويلين فيديباجتة الشعريه حسبما يقتضيه القول ويدعو إليه الغرض[٢]

وأما الاستاذ كامل كيلاني فيري في بحث عن حياة ابن زيدون وأدبه : ميزه ابن زيدون التي تكاد تفرده من شعراء العربيه هي الفن ، فهو شاعر قبل ان يكون فيلسوفا او حكيما او غواصا علي المعاني او وصافا ، الفن وحده هو الذي اكسب ابن زيدون زعامة الشعر في عصره واغري مخول الشعراء في زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والإنضواء تحت رايته " . [٣]

ويري الاستاذ احمد حسن الزيات / ان شعر ابن زيدون هو الصورة

---

(١) د / شـــــوقي ضـــــنيف / ابـــــن زيـــــدون ص / ٤٠

(٢) في الادب الاندلسي د/ جودت الركابي ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ / دار المعارف

(٣) ديوان ابن زيدون / مقدمة للاستاذ كامل كيلاني

الصحيحة للشعر الأندلسي ، لا نبجاسه من أعماق فؤاده وأنبعاثه من طبيعة بلاده ، فلم يجر جريان أبن هانىء وراء شعرآء المشرق يحاكيهم ويحتذ بهم لأنه لم يتخذ الشعر وسيله من وسائل الرزق ولا سبيلا من سبل الشهرة ، وإنما كان يشعر لنفسة ويعبر عن نزوات حسه ،وهو آخر شعراء بني مخزوم وأول معاصريه رقه ودقه ، تقرأ في شعره اجود ما خصت به الطبيعة الأندلسيه [١] من وصف المناظر ، وشرح العواطف ، وسمو الخيال ، وصفاء الديباجه ويري أبن بسام أن أبن زيدون صاحب منثور منظوم وخاتمه شعراء مخزوم ، احد من جر الايام وفات الأنام طراً ، وصرف السلطان نفعاً وضراً ووسع البيان نظماً ونثراً ، ، إلي أدب ليس للبحر تدفقه ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه،وحظ من النثر غريب المباني ، شعري الالفاظ والمعاني [٢].

---

(١) تاريخ الادب العربي / احمد حسن الزيات / ٣٣١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة / لابن بسام الشنتريني / ج ١/ ٢٣٦ / دار الثقافه بيروت لبنان ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

الأمرة ولادّة وصلة أبن زيدون بها :

ولكي يتسنى للباحث في شعر ابن زيدون متابعة القصيدة النونية لا يستطيع أن يتعرف على معالم الجمال الفني في قصيدته النونية إلا إذا توفرت له معلومات كافية عن معرفته "بولادّة " والصلة التي جمعت بينهم والذكريات الجميلة التي كانت لها آثار بعيدة المدى في تعلق قلبه بحب ولادة والتغني بها في شعره

نبـذة عن نشـأتها :

هي ولادة بنت المستكفي ، الأديبة المتميزة ، ذات المجالس الأدبية الشهيرة ، أقامت في قصرها منتدى أدبي تتبادل فيه المساجلات مع جمع وفير من الشعراء ، وهي بذلك تكون قد سبقت بعض نساء عصرها " سيدات الصالونات الأدبية [١]

وبخاصة الغرب وولادّة ومثيلاتها في الأندلس أسهمن بدور فعال في ازدهار النهضة الأدبية في الأندلس ،وكان ممن اختلف إلى مجلس ولادة أو منتداها الفتي الشاعر أبن زيدون . وظل مواظباً على الحضور فتوطدت بينهما أواصر الـــود والمحبة .

وحدث أن غاب عنها لأمر عرض له فكتبت إليه تقـــول :-

ألاَ هل لنا من بعد هذا التفـــــرق

سبيل فيشكو كل حبيَّب بما لقـــي

---

(١) عصر الدول والإمارات ــ الأندلس ــ د/شوقي ضيف / ٢٨٢.دار المعارف .

تمر الليالي لا أرى البين ينقضـى__

ولا الصبر من رق التشوق معتقي .

فالبتيان ينمان عما جمع بينَ ولادَّة وابن زيدون من صَداقة حميمة وأنه كان يلتقي بها في حدائق قرطبة الجميلة ويحدثها حديثا طيّباً فكتبت إليه بهذه الأبيات الرقيقة تناشده الرجوع إليها بعد طول غياب وهي تترجم إحساس ولادَّة الحزين وتأثرها بفراق ابن زيدون لها :

تمر الليالي لا أرى البين ينقضي

ولا الصبر من رق التشوق معتقي .

بين يدى النص :

كتب ابن زيدون هذه القصيدة بعد فراره إلى أشبيلية وأرسل بها إلى صاحبته ولادة يذكرها بأيام السعادة والوصال، ويأس لما آلت إليـه حاله بعد البعاد والهجرة ، فيقول فيها :- (١) .

(١) أضحى التنائي بديلا من تدانينـا

وناب عن طيب لقيانا تجافينـا

---

(١) ديوان ابن زيدون / ٩ وما بعدها .

(٢) بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنـــــا
شوقا إليكم ولا جفت مآقينـــــا

(٣) نكاد حين تناجيكم ضمائرنـــــا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينـــا

(٤) حالت لبعدكمو أيامنـــا فغـــدت
سودا وكانت بكم بيضا لياليـنـــا

(٥) إذ جانب العيش طلق من تألقنـا
ومربع اللهو صاف من تصافينـــا

(٦) وإذ هصرنا غصون الأنس دانية
قطوفها فجنينا منـه ماشينـــــا

(٧) ليسقِ عهدكو عهد السرور فمـــا
كنتم لا رواحنا إلا رياحينـــــا

(٨) من مبلغ مبلسينا بانتزاحهمـــــو
من الدهـر لا يبلى و يبلينـــــا

(٩) أن الزمان الذي ما زال يضحكنـــا
أنساً بقربكـو قدعـاد يبكينـــا

(١٠) غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغض فكان الدهر أمينـــــا

(١١) فانحل ما كان معقودا بأنفسنـــــــا
وانبت ما كان موصولا بأيدينـــــا

(١٢) وقد نكون وما يخشى تفرقنـــــــا
فاليوم نحن وما يرجى تلاقينـــــا

(١٣) ما حقنا أن تقروا عين ذي حســـد
بنا ولا أن تسروا كاشحا فينـــــــا

(١٤) لم نفتقد بعدكم إلا الوفاء لكـــــم
رأيا ولم نتقلد غيره دينـــــــــا

(١٥) ياليت شعري ولم تعتب أعاديكـم
هل نال حظا من العتبى أعادينـــــا

(١٦) كنا نرى اليأس تسلينا عوارضـــه
وقد يأسنا فما لليأس يغرينـــــــا

(١٧) يا ساري البرق غاد القصر فاسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

(١٨) واسأل هنالك هل عني تذكرنـــــي
ألفـا تذكـره أمسي يعنينـــــــا

(١٩) ويا نسيـم الصبا بلـغ تحيتنـــا
من لو على البعد حي كار يحيينـــا

(٢٠) فهل أرى الدهر يقضينا مساعفة

منه وإن لم يكن غبا تقاضينا

(٢١) ربيب ملك كان الله أنشأه

مسكاً وقدر إنشاء الورى طينا

(٢٢) أوصاغه ورفا محضا وتوّجه

من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا

التصوير الأدبي وروافده :

التصوير الأدبي في القصيدة التي بين أيدينا يقدم للمتلقي نماذج متفردة من الأنماط الرفيعة التي تشعرنا بمقدرة ابن زيدون وتجربته الخالدة وأنه استقى من معين تراثي فياض ، يجيش بالمشاعر والتجارب الفنية التي لا تنفد مادتها ، لأنها في مجمل تراكيبها حية رسم فيها الشاعر لوحة فنية كبيرة ، وجمع فيها بين التصوير الكلي بظلاله المتسعة من الصوت واللون والحركة ، والتصوير الجزئي الذي يجمع ألوانا طريفة من البيان ، من نظم أنيق ، ويتمثل فيه الفن الجميل الذي مزج فيه بين عاطفة الشاعر وحكمة التجارب المستمدة من الخبرة والمران ، مما حدا بالشاعر إلى الغوص في المعاني لثراء تجربة وفاعليتها بالإضافة إلى الإتيان بالألفاظ الدالة على المشاركة كما جاء في البيت الأول للقصيدة في قوله :-

" أضحى التنائي بديلا من تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينـــا "

فالكلمات " تدانينـــا ، لقيانـــا ، تجافينـــا " في البيت الأول وفي البيت الثانـــي " جوانحنـا ، مآقينا ، وكذلك في البيت الثالث "ضمائرنا ، تأسينا " على هذه المشاكلة تمضي القصيدة مما يدلنا على أن عاطفة الشاعر في نمو دائم وتجاوب مستمر مع التحضر ، وهي في مجملها تشكل رحلة متصلة وصورة متآلفة متناسقة تقف فيها الكلمات بجوار بعضها البعض لتقدم للمكتبة العربية زادا وفيراً من الشعر الرصين ، الذي يدل بحق على ما تفرد به شعراء الأندلس من استقصاء في الوصف ، وأناقة في المدح وربط الشعر بالحياة وأحداثها ومجريات الأمور بها ، ويحسب لابن زيدون السبق فيما جاء به من صور حافلة بالظلال ، فمنذ البداية نجده " يختار حرف النون الدال على الحزن وما يشع في نسجه من لوعة وحرقة وجاء التصوير الأدبي في القصيدة مستمدا في بعض أنماطه من الذكر الحكيم مما يدلنا على ثقافته الدينية العميقة واتساع رقعتهـــــا واستفادت من نفحات العطرة وعبقه الأصيل في قوله :-

* يا جنة الخلد أبدلنا بسدرتهـــا *

وقولـه * ما كنتم لأرواحنا إلاّ رياحينـــا*(١)

والقصيدة من الشعر الجيد الذي اكتملت فيه الوحدة العضويـــة (٢) التي تتمثل في وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي التي تتمثل فـي الصياغة والخيال والموسيقا وملكات الشاعر التي هيأت له تمثل هذه المقومات وهضمها فاستطاع ابن زيدون من خلال القصيدة أن يخرج بصورة وأفكاره من النطاق الذاتـي الضيق إلى النطـاق الإنسانـي الواسع ليتحدث عن تجربته ويعرضها بشكل مؤثر مما يجعله يتفاعل مع المجتمع ويستفيد من تجارب غيره من خلال قراءاته وصداقاته وجاءت القصيدة بنتائج إيجابية فكانت فتحاً جديداً ونموذجاً يحتـذي به في الدقة وجمال العرض وإيثار التعبير الأنيق وذلك لحســـه المرهف فأرسل الشاعر بهذه القصيدة من غياهب السجن وما يحيط وما يحيط به من أسوار ، ومن أعماق نفسه المضطربة صرخـة واستغاثة إلى صاحبته ولادّة التي وقفت منه موقفا معاديا وتركتـه يعاني آلام الوحدة والإحساس بالضياع وبخيبة الأمل ، وصادف أن تآمر عليه المتآمرون فدسوا له الوشايات لدى صديقه"ابن جهور " الذي احتفى به وقرب إليه وحظى عنده بمكانة مرموقة في الوزارة الجديدة في قرطبة ، فنالت الوشايات من عزيمته وطموحاته التي

==========

(١) سنفصل الحديث عن ذلك في عرضنا للقصيدة من خلال الصور الأدبية

(١) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال / النهضة المصرية

كان يأملها في رفقته الطيّبة لآل جهور وفي نبوغه السياسي المرتقب .(١)

فجاءت القصيدة بمثابة جذوة مشتعلة أرسل بها الشاعر المنكوب ليفرج بها عن الجراح المثخنة بداخله ، ويخاطب صديقه" ابن جهور" الذي تأثر بأقوال الوشاة ، ويستدرّ عطفه ليجد فرصة مناسبة ليدافع عن نفسه ، ويبرئ نفسه مما نسب إليه من تهم ، ويرفق الأمير بالشاعر ، ويجعله يستشعر بالأمان في بلاطه بعد إطلاق سراحه والعفو عنه ، ويستعيد مجده السليب .

وبالفعل نجحت القصيدة في تحقيق هدف ابن زيدون وتم إطلاق سراحه فخرج من السجن ورافق المعتضد في بلاطه واصطفاه وجعله من خواصه وللقصيدة صدى كبير في الأوساط الأدبية ، حيث تأثر بها عدد كبير من الشعراء من أمثال أحمد شوقي في قصيدته النونية (٢) التي نظمها من أندلسياته والقصيدة التي بين أيدينا من خير ما قاله ابن زيدون ، وأنها في المرتبة الأولى دون غيرها من القصائد لأنها قوية

---

(١) تاريخ الأدب العربي /أحمد حسن الزيات /٢٣١ط/الخامسة والعشرون / النهضة المصرية ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان /ج١/٢٥٣/ بتحقيق د/إحسان عباس / دار صادر / بيروت .

(٢)ومطلع القصيدة :- يا [illegible]ح الطلح أشباه عوادينا

نشجي لواديك أم نأسى لوادينا

ماذا تقص علينا غير أن يدا

قصت جناحك جالت في حواشينا

الصلة بحياته ، وهي من غرر شعره لما تحويه من عواطف صادقة عميقة أظهر فيها ابن زيدون مقدرته وطاقاته الإبداعية وكان سنده في ذلك ملكة أدبية تجمع بين الرؤى الفسيحة والنظرة العميقـــــة بالإضافة إلى طاقة تعبيرية ساعدته على تطويع جوانب الفن لتصوير خلجات النفس .

كتب ابن زيدون هذه الأبيات بعد فراره إلى أشبيلية وأرسل بها إلى ولادة يتذكر فيها أيام السعادة والوصال ،ويأس لما آلت إليه حاله بعد البعاد والهجرة [١] :-

(٢) أضحى التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا (٢)
(٣) بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا إليكم ولا جفت مآقينا

==========

(١) ديوان ابن زيدون من ٩ وما بعدها ، دار صادر بيروت .

(٢)أضحى = أصبح وبدا ، التنائي=الفراق ، وبديلا = عوضا ، تدانينا = تجافينا ، ناب= حل ، تجافينا = البعد والهجران

(٣) بنتم =بعدتم ، الجوانح = الضلوع والمراد بها القلب ، والمآقي = جمع موق وهي مجرى الدمع من العين

(٤) نكاد حين تناجيكم ضمائرنا

يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

(٥) حالت لبعدكو أيامنا فغدت

سودا وكانت بكم بيضا لياليا

(٦) إذ حانب العيش طلق من تألقنا

ومورد اللهو صاف من تصافينا

(٧) وإذ هصرنا غضون الأنس دانية

قطوفها فجنينا منه ما شينا

استّهل ابن زيدون قصيدته بالحديث عن الواقع المؤلم الذي يعانيه ، فالبداية الحقيقية للقصيدة تنم عن لسان حاله وقد تألب عليه أعداءه وكثر الواشون حوله ، وقد تحوله الوصال إلى التباعد ، واللقاء إلى مرارة الجفوة والقطيعة وهذا يبدو من البداية الحزينة في قوله :-

أضحى التنائي بديلا من تدانينا

وناب عن طيب لقبانا تجافينا

==========

(٤) تناجيكم=أي النجوى أو الحديث سرا ،والتأسي=التعزي= التصبر ،الأسى= الحزن

(٥) حالت = تحولت و تغيرت .

(٧) هصر الغصن = جذبه وأماله .

فنجده ينتقي الألفاظ القوية الأسْر ليشعرنا بهول المواقف وفداحة الخطب، "والشعر لغة الوجدان ولحن الجنان أبرزه للعيان في إطار من الأوزان، وهو في كل عهدمرآة الأمم ترى فيها صورها وديوانها الذي تودعه أخبارها ، ووترها الذي يهزج بأحاسيسها ومشاعرها ، وقيثارها الذي يتغنى بمناقبها ومآثرها وأثرها الخالد الذى يعرب عن مجدها وينبئ عن عزها وسؤددها ، يهزا أريحيتك روعة ألحانه وينبل فؤادك سحر بيانه ، ويرقى حينا فكأنه روض تعبق وروده . اوعندليب تتناغم اغاريده.. لواصاخت اليه الطير لطربت لو خوطبت به الخرس لنطقت رائعة انغامه مزاميره فاتنه قسماته واساريره.[٢] وهذه المشاعر الصادقه نلمسها بحق فى الاستهلاليه التى جاءت بالقصيده وفيها يعرض ابن زيدون صفحا من الاحداث التى المت به فى أناة وروية يبسط الحديث فى سطور القصيدة

---

(١) ابن زيدون من ٩ وما بعدها ، دار صابر بيروت

المفردات : اضحى :اصبح وبدا ، بديلا وعوضا ، التنائى : الفراق ، بديلا وعوضا ، تدانينا : تجافينا ، ناب : حل ، تجافينا : البعد والهجران

نبتم : بعدتم ، الجوانح : الضلوع والمراد بها القلب ، والماقى : جمع موق وهى مجرى الدمع من العين

تناجيكم : من النجوى الحديث سرا ، والتأسى : التعزى : التصبر ، والاسى : الحزن

حالت : تحولت وتغيرت

هصر الغصن : جذبه وامالله

(٢) فى الادب العربى الحديث / بحوث ومقالات نقدية / يوسف عز الدين / ١٧٥

وفى قولة البيت الثانى :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنـــا

شوقا اليكم وما جفت مآقينا

يبدى فيه الشاعر حيرته واندهاشه من القطيعة التى حدثت بينهما وفى التعبير " بجوانحنا ،مآقينا، ابتلّت ، جفت " مايشعر بمرارة الفاجعه ومن الصور البيانية فى الابيات الاستعارة فى قوله " ما ابتلت جوانحنا" التى تجعل القلب وقد اصابه جفاف قاتل بسبب الشوق كالزرع الذى يهلكه الجفاف ، ولفظ جوانحنا بمعنى القلوب مجاز مرسل ،وعدم جفاف المآقي كناية عن البكاء المستمر والحزن المقيم .

ونظراً لتتابع الأحداث في حياته فان نفسه المعذبة الجريحة لم تنس غرامها ولعلها كانت تجد فى النسيان سلوى وراحة للنفس ،ونشوى فى الفؤاد ، وصور الاستعطاف تطل علينا من ثنايا شعره الراقى ، فعندما يجىء فى الغزل فإذا به استعطاف عاشق ذليل وإذا جاء فى المديح كان استعطاف أمير ذل يتطلع الى المجدالذى سلب منه وجعله فى حيرةٍ مِن أمره ويزداد الموقف هولا بقوله:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنـــا

شوقا اليكم وماجفت مآقينـــــا

يكاد حين تناجيكم ضمائرنـــــا

يقضى علينا الاسى لولا تاسينا

وفى الابيات السـابقه يرسـم الشـاعر صورة لنفسيته المضطربـه المعتصرةالما من البعادالذى كانت له نتائج وخيمه مما جعل جوانحه تزداد سوءا يوما بعد يوم ، بالاضافة الى دموعه التى تتساقط بغزارة وهولايستطيع منعها،والدموع رحمة ربانية وهبها الله للانسان ليخفف عن جراحه ويبكى فيها أيام سعادته [1] بالقرب من ولادة ويحن الـى أيامه الافلة فىغمرة اليأس والاحبـاط وقد لجأ الشـاعرفى وصـف حالته الحزينه الى المجاز فعبر بالجوانح واراد بها القلب وما تحتويه ليترك للخيال مجالا وليزيد فى لحن المناجـاه ويبين فى البيت الـذى يليه بأنه أصبح يائسا من الأوضاع السيئة التى يعيشها بمفرده لولا تحليه بالصبروتجلده بالحكمة من خلال تجربته القاسية فى السـجن وراء القضبان وحيداً لا أنيس له .

ويمضى بنا فى القصيدة فيحدثنا عن الأيام الماضية ويعقد موازنـه بينها وبين حالته الراهنة ، فأيامه الحاضرة أصبحت سوداء بينـما كانت لياليـه معها بيضاء ينال من روضته مايشتهى ويجنـى مـن

---

(١) المنتخب من عصور الأدب /٦٣ ومابعدها (بتصرف)

ثمرها مايريد

حالت لبعدكمو أيامنا فغدت

سوداً وكانت بكم بيضاً لياليا

إذ جانب العيش طلق من تألقنا

وإذ هصرنا غصون الوصل دانية

قطوفها فجنينا منه ماشينا

ويبين أن البعاد لاينسيه ذلك العهد الرطيب ، مهما خبت جذوة الحب فى قلوب المحبين، فقد كنتم الرياحين لأرواحنا ومازالت هذة الذكرى الطيبة حاضره بوجدانه وهو لا ينساها . ويمضى الشاعر فى استكمال الصورة الحزينة التى رسم خطوطها وألوانها من وجدانه المفعم بالحزن والألم فى إطار تراثى حافل ، فيقول :-

ليسق عهدكمو عهد السرور فما

كنتم لأرواحنا إلا رياحينا (١)

من مبلغ مبلغينا بانتزاحهمو

من الدهر لايبلى ويبلينا

أن الزمان الذى مازال يضحكنا

أنسا بقربكمو قد عاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا

بأن نغص فقال الدهر آمينا

فانحل ماكان معقوداً بأنفســـــــنا

وأنبّت ماكان موصـــولاً بأيدينـــــــا

وقد نكون ومايخشـى تفرقنـــــــا

فاليوم نحن ومايرجـى تلاقينـــــــا

فيدعو لهذة الأيام الجملة الماضية بالسقيا حتى تظل هذة الذكريات خالدة بطريق الأستعارة المكنية ، حلق فيها الشاعر

بخياله وبين أن العهد جدير بأن يدعوله بالسقيا ويرجوا له أن يعود إلى أزدهاره ونضارته.

وهذا يوحى بتعليق الشاعر بهذا العهد ورغبتة فى عودته مرة أخرى ، وفى الشطر الثانى من البيت تعبير جميل فى قولة :- " فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا " ، فقد شبه ولادة بالريحانه النضرة المتألقة يفوح منها العطر فينعش القلب ويسعده ، وهذا يدل على تعلقة بولادة ويدل على الوفاء لها والإلتزام بما كان بينهم من وداد والبيت التالى يؤكد على وقائه لها وبقائه على العهد مخلصاً لصاحبته التى بادلته حباً بحب ، وهو يخاطبها بصراحة قائلا :- لاتظنى أن بعدك عنى ينال من وفائى،ومن المعروف أن البعد يغيرالقلوب ويخمد العاطفة فيقسم لها أن قلبه لم يتعلق بغيرها وأن أمانيه تكمن فى لقياهـا والحيـاة بجوارها،وهذا يدلنا على شاعرية أبن زيدون الحقة مما حدا بالدكتور

---

(١) ديوان ابن زيدون ، ص/ ٩ وما بعدها

شوقى ضيف القول بأن أبن زيدون استطاع أيضاً أن يدغدغنا فى لحن من المناجاة والذكري تاركا في نفوسنا اصداء مرتجفه مبهمه ، وتونيته خير مثال لهذا الشعرالذي اعتصر فيه فؤاده ، واودعه اسرار الحانه الشجيه [١] .

والقصيدة التي بين ايدينا تدلنا علي اننا بإزاء شاعر ينظم الشعر عن عاطفه جياشه وإيمان صادق ، وشعور دافق ، وعمل ناطق ، وهي كلمات من لحم ودم ..." [٢] .

من مُبلغ مبلسنيا باننز احهمـــو

حزناً من الدهر لا يبلى ويبلينـا

أي ليتني اجد من يبلغ احبابنا الذين البسونا بفراقهم حزنا يبلينا ، وهو يستعصي علي الدهر لا يبلي ، يبلغهم ان الزمن الذي ظل يضحكنا ويسعدنا انساً بقربهم قد عاد يبكينا حزنا عليهم بعد الفراق . ويواصل الشاعر الحديث عن الأيام الجميله التي قضاها مع صاحبتـه ولادّه متاثره بالقطيعه وهو يقول كم تلذذنا بالهـوي وتمتعـنا بالحـب

---

١ – في الادب الاندلسي د / جودت الركابي / ٢٠٤ ميزان الشعر عند العقاد ا . د / مصطفي ابو كريشه / ١٨١

٢ – ميزان الشعر / ١٨١ وما بعدها

فأكل الغيظ قلوب أعدائنا ، فدعوا علينا ان يفسد ما بيننا من حب وان تنقطع سعادتنا به ، ومن عجب ان الدهر استجاب لهم وقبل دعواتهم فانحـــل رباط الحب الكبير الذي كان يربط روحينا وانقطعت الملذات والمتع التي كانت بايدينا نسعد بها ما أشقانا وما أتعسنا، لقد كنا فى الماضى نجنى السعادة ونخاف تفرقاً فأصبحنا اليوم نقاســي آلام الفراق ويتابع حديثه له بقوله والله ما أنصفتمونا فلسنا نستحق أن تشتموا حُسادنا ومبغضينا فينا ولا أن تسعدوهم وتفرحوهم بأذيتنا وشقائنا وتفرقنا ويواصل الشاعر حديثه لمن سعوا إلى الإيقاع بينه وبين آل جهور قائلاً : ليتنى أعرف سرّ تغيركم علينا : أننا لم نستمع إلىعتب أعدائكم لنا فى شأنكم ولم نسمح لهم بأنْ يدسوا ضدكم عنفنا ، فخبروني ولى بربكم هل تركتم أعداءنا يبلغون مأربهم بالدس علينا عندكم ، وهل قبلتم عتبهم لكم فى شأننا .

ولقد استعان الشاعر ببعض الأساليب فى أبياته، كالمزاوجه [1] لتأكيد معانيه وتثبيتها ، وفى استعمال الطباق والمقابلة لتوضيح التضاد بين حالتين هامتين يتمثلان فى سعادة الماضى وشقاء الحاضر وإتيانه بلفظ (التساقى) فى (تساقينا الهوى) يوحى بتلذذهم بالحب، وسهولة ويسر حياتهم فى ظله،وتوقف حياتهم السعيدة عليه لذا كان إفساد كل أولئك غصة بالشراب تعترض حلوقهم فتضيع من الحب لذاته وتحيله آلاما

---

(١) فى الأدب الأندلسى /٢١٤

بدل المتعة وسببا للشقاء بدل السعادة،وليشعر القارىء بما لحق به من متاعب نفسية ومعنوية . وجاء فى القرآن الكريم قوله تعالى فى الحديث عن جهنم وعذابها ٠ " تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزانتها "، وأورد صاحب الكشاف فى ذلك قوله : (يقولون فلان يتميز غيظاً ويتقصف غضباً وغضب فطارت منه شقه فى الأرض وشقة فى السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ، وقال إنَّ المراد بها التوبيخ ، فهم يزدادون عذاباً إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم [1] وهذا يدلنا على أن ابن زيدون تأثر بالمنهج القرآنى فى أختيار الألفاظ المناسبة وجلال الموقف، وتمثله للصياغه الحكيمة بدقة وتركيز ، ولعله أراد أن ينقل إحساسه المكلوم تجاه من اساءوا معاملته فعبر بكلمة " غيظ " وهى شديدة الأسر وأضافها إلى العدا لتكتمل الصورة البغيضة المنطبعة فى ذهن الشاعر، وساقها للذم والتفريع فى حديث مفصل ، وفى قوله " غيظ" فيه من الزجر والتنفير ٠

بالإضافة إلى الأسلوب البيانى المتميز فى جعله الهوى يسقى وهو لايسقى ، ولكنه يعبر عن لحظات السعادة العابرة " بسقيا الهوى "

---

(١) الكشاف للزمخشرى / ج ١٢٢/٤

ليترك للخيال المجال لرسم صورة شاخصة ماثلة للعيان ، ولكنها سرعان ماتتلاشى ويتبّدد بريقها نتيجة لما يفعله الوشاة من الكيد لهم ، وإلحاق الأذى بهم ويؤكد هذا الشطر الثانى من البيت الذى يقول فيه

* فدعوا بأن نغّض فقّال الدهر آمينا *

أى بادروا بالسعى للإيقاع بيننا وبالفعل نجحت الخطط الدنيئة فى الإيقاع بالشاعر وبصاحبته ، مما يجعله يشخص الدهر وكأنه ينصت لكلام الوشـــاه وينساق لما يقولـون من الأخذ بالقطيعة وفى التعبيـر " غيظ" " تساقينا الهوى " ، كناية عبر بهاالشاعر عن لحظات السعادة الآفلة ، وماسببه الوشاه لأبن زيدون من جراح ٠ ويجيء البيت التالى فيضيف إلى حزن الشاعر وألمه صوره أخرى من الصور التى توحى بالقطعية :-

فانحـل ماكان معقـوداً بأنفســنا
وانبتّ ماكـان موصـولا بأيدينـــا

والشطر الأول فى البيـت يفصح عن الروابـط والآمـال التى كانـت معتملة فى الخواطر والمشاعر ، ولكن الصورة التى أرتسمت فى قلب الشاعر ووجدانه انهارت ولم يعد لها وجـود وفى التعبيـر بكلمتـى " أنفسنا " و" أيدينا " مايشير إلى أن القطيعـة خارجـة

عن حـدود إرادتهما ورغبتهما فى تحقيق السعادة مهما كانت سبـلها صعبة وفى قوله: (فاتخل) و(انبتّ) مايفيد بأن لحظات السعادة تلاشت بسرعة وتبّددت ولم يعد هناك مجال للقاء ومعالجة الموقف ،ويعود لوصف حاله مرة أخرى .

وقـدَ نكـون ومايخشـى تفرقنـا
فاليـوم نحـن ومأيرجَـى تلاقينـا (١)
ياليت شـعرى ولم تعتب أعاديكـم
هـل نال حظـاً من العتبـى أعادينـا

قد ننعم بالسعادة حينا ولكنها لن تدوم ، وبالتالى فعلينا أن

نتوقع حدوث الفرقة ، فدوام الحال من المحال ، ولكن مما يدعو للأسى أن هذا الحزن لم يتحرك له أحد ، ونجح الأعداء فى مخططهم الذى أعدوه ، ويرجو الشاعرأن يجد من شعره متنفساً لمشاعره المتأججه الملتاعة ، أن تجد هذة القضية صدىً لدى محبيه ، أماّ الأعداء فهم فى رضا وفى سرور وكأنى بهم وقفوا موقف المتفرج المعجب الذى يسَعد بشقاء غيره ولا يتأثر بما يضره .

* هل نال حظاً من العتبى أعادينا *

ويطرح ما يعتمل بداخله من معانى حزينة بأسلوب إنشائى ساخر بقوله :

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم
رأياً ولم نتقلد غيره دينا [٢]

ما حقنا أن تقروا عين ذى حسدٍ
بنا ولا أن تسروا كاشحاً فينا [٣]

كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه
وقد يئسنا فما لليأس يغرينا [٤]

وفى الأبيات السابقة يفصح الشاعر عن وفائه لولادة ، قائلا لها ان الوفاء لها سجية وغريزة ماثلة فى كيانه ، لا يستطيع التخلص منها مهما تغيرت الظروف والأحوال وفى الوقت نفسه يتوجه بالعتاب الى صاحبته ولكل من هيئ الفرصة وسمح للحاسدين والمبغضين باشعال نارالفتنة بين الشاعرورفاقه الذين عاش فى رحابهم ويحدث صاحبته بقوله : كنا نظن أن اليأس من وصالكم سيجعلنا نسلو عنكم وها نحن

---

(١) الديوان /ص٩ إلى ١٥
(٢) انحل = تفكك ، انبتّ = انقطع
(٣) الكاشح= العدو
(٤) اليأس = فقدان الأمل ، العارض = الشىء الذى يعرض ويزول ، يغرينا = أغراه = أى دفعه إليه وحببه

أولاء قد يئسنا فمابال هذا اليأس لا يسليناعنكم بل يقربنا بكم ويزيدنا حفاوة بكم .

وفى الابيات الآتيه يبدو وتأثر الشاعر بمنهج المشارقة فى التغنى بالطبيعه ومشاركتها (١)

ياساري البرق غاد القصر واسق بـــه

من كان صرف الهوى والود يسقينـا

وإسأل هنالك هـل عنّى تذكرنـــــا

الفا تذكره امسى يعنينـــــــــا(٢)

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنـــــــــا

من لو على البعد حيا كان يحينـــا(٣)

فهل ارى الدهر يقضينا مساعفـــــه

منه وان لم يكن غبا تقاضينـــــا(٤)

ربيب ملك كأن الله انشـــــــأه

مسكا وقدر إنشاء الورى طينـــا(٥)

فابن زيدون يناجى الطبيعه ويجعلها تنفعل بما حدث له ويطلب منها

---

(١)غاد القصر : بكر اليه ، صرف الهدى : المحبة الصافية الخالصة

(٢)عنّى : شغل ويعنينا : يشغلنا او يتعبنا (٣)الصّبا : ريح لطيفة تهب من الشرق

(٤) غبّا : الغبّة فى الزيارة الإقلال منها (٥) ربيب ملك : صنيع ملك ، الورى : الخلق : الزاق : الفضة . ويقصد بقوله مسكا : أن القصر يفوح بالعطر.

ان تتعاون معه وتحس لمصابه ، وينادى البرق ويناشده ان يذهب مبكرا الى قصرها ويجود اهله بغيثه اعترافا منه له على ما اولاه من حب ومودة ، ويحمل النسيم بتحيته الى تلك التى يحييه سلامها ، وتعتمد صورة السقيا للقصر فى البيت الاول على التراث الشعرى وتقاليده العربيه القديمة التى تعودت ان تدعو للراحلين من وادبها والمنقى القصى ، وهى صورة جميلة فيها اشعار بالحنو لهذا الماضى الجميل وتدلنا ايضا على ان ايام الوصال ولقاء الاحباب كانت صافية بلا كدر يشوبها وان ذكرى ولادة العاطرة ما زالت ماثلة فى وجدان الشاعر ، وهولا يكتفى بذلك بل يناجى النسائم الندية المعطرة إذا سرت فى اسحاره فأفعمت بالشذى كل شئ حتى امالة البعيدة

وهذه اللوحات يستمدها من صور واقعيته وقديما عاودته الذكرى والحنين للأيام السعيدة وتيقظ واعيا على الواقع الجارح المؤلم والقارئ للأبيات يشعر بجدارة الشاعر في توزيع الموسيقى الداخلية المتوازنه مما يجعلها تملىء الاسماع طرباً وتثرى العاطفه ايقاعاً .

ويعاود الشاعر الحنين الى زيارة محبوبته فيخاطب الدهر آملا فى الوصول الى حل بقوله :

فهل أرى الدهر يقضينا مساعفه

منه وان لم يكن غباً تقاضينا

ولعل فى حديثه للدهر تسلية وسلوى عن الأحداث التى حلتْ بـه وهدّدت الطمأنينة فى نفسه فشعر أن كرامته قد تدهورت وامانيه العزيزه قد خرجت بعد ان اودع السجن دون ان يعرف سببا لما ينزل به ، وافتقد الوظيفة المرموقة التى وصل اليها ، ويحدوه ذلك الحديث عن ولادّة التى كانت تسكن القصر ، ويحمل النسيم الرقيق تحيته الى تلك التى يحييه سلامها ، ويعدد لمظاهر الجمال فيخيل اليه ان صاحبته قد خلقت من معدن يغاير ما خلى منه الناس ، فان كان الناس قد خلقوا من طين فهى من المسك بل هى من الفضة الخالصة المتوجه بالذهب ، بالاضافة الى بياض وجهها واصفرار شعرها ، وقد بلغ من رقة الحبيب ورفاهيته ان العقود تثقله والحلى تدميه وكأنما اشرقت النجوم فى وجهه لتقيه الحسد وتزينه فيبدو فى صورة متألقة بهية مبتهجة .

وهذه المعانى الجميلة التى رسمها الشاعر نستشعرها فى الابيات التاليه :

ربيب ملك كأن الله أنشـــــــأه

مسكا وقدر انشاء الورى طينـــــا

أوصاغه ورقا محضا وتوَجّـــــه

من ناصع التبر ابداعاً وتحسينا (١)

---

(١) الورق : الدراهم الفضية

إذا تأود آدته رفاهيـــــــــــة

توم العقود وأدمته الهوى لينـــا [١]

كأنما انبت فى صحن وحنتـــه

زُهر الكواكب تعويذاً وتزيينا [٢]

ما ضر أن لم تكن أكفاءه شرفًـا

وفى المودة كَافٍ من تكافينـــا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنـــا

إن طال ما غير النأى المحبينـا

والله ما طلبت أهواؤنا بـــدلا

منكم ولا انصرفت عنكم امانينـا

ولاأستنفذنا خليلا عنك يشغلنـا

ولا اتخذنا بديلا منك يسلينـــا

يا روضة طالما أجنت لواحظنـا

وِرداحِناه الصبا غضاًونسرينـا[٣]

---

(١) تأود : تمايل ، ادته : اثقلته ، توم العقود : عقود مزدوجة من اللؤلؤ ، البرى : الخلاخيل جمع برة ، وهى حلقة الخلخال

(٢) وتعويذاً : اى رقية

(٣) النسرين : نوع من الورد الابيض عطرى الرائحه

ويا حياة تملينا بزهرتهـــــــا
منى ضروبا ولذات افانينـــــا [٢]

ويانعيما خطرنا من غضارتـــه
فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا [٣]

لسنا نسميك اجلالا وتكرمـــــــة
فقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا [٤]

اذ انفردت فما شوركت فى صفـــة
فحسبك الوصف ايضاحا وتبينيا[٥]

يا جنة الخلد ابدلنا بسلسلهـــــا
والكوثر العذب زقوما وتمسلينا[٦]

كأننا لم نبت والوصل ثالثنـــــا
والسعد قد غِيص من اجفان واشينا

سران فى خاطر الظلما يكتمنـــا
حتى يكاد لسنا الصبح يغشينـــــا

---

(١) تحلينا : تمتعنا ، ضروبا : انواعا ، افانينا : اواعا كثيرة
(٢) الغضارة : النعمه ، الوشى : ثوب من الحرير به نقوش
(٣) المعتلى : العالى
(٤) حسبنا : كافينا
(٦) السدرة : شجر النبق ، وهى كبيرة عظيمة الظل ، والشاعر يشير الى سدرة المنتهى فى الجنة
والكوثر : نهر فى الجنة ، الزقوم والغسلين : من اطمعة اهل جهنم فى النار

لاغروانا ذكرنا الحزن حين نهت

عنه النهى وتركنا الصبر ناسينـــا

إنا قرأنا الاسى يوم النوى سورا

مكتوبة واخذنا الصبر تلقينـــــــا

هذه الابيات تدلنا على اننا بازاء شاعر صادق الحس يألم الفراق والبعاد ويأسى لأيام جميلة مضت ، ويوازن . فى حسرة – بينها وبين أيامه الحالية التى يعانى من قسوتها وكآبتها،لعله يجدلأزمته علاجا شافيا، ويرى بعض الباحثين ان هذه القصيدة استطاعت تحقيق رسالة الشعر،لانها رمتنا بلين ورفق فى الجو الذى يتلهف له الشاعر ودّوت موسيقاها فى اجزاء نفوسنا واملت علينا عاطفته، اسكرتنا بنشوته [1] فابن زيدون هو ممن تعمقت تجربة الغربة فى نفوسهم يتحدث عن رحلته فى السجن ، وانها لم تحل بينه وبين ذكرى حبيبته ولادّة ويبين ان النسيان لا يستطيع ان يغير المودة بينهما فيسليه عنها مهما طال الزمن ، ويؤكد ما بدأ به التعبير بقولة :

والله ما أحببنا غيركم وما زلتم مناط امانينا ولا تنصرف رغبتنا عنكم ولم نتخذ بعدكم خليلا يشغلنا عن الحديث اليكم ولا بديلاً منكم يسلينا.

---

١. فى الادب الاندلسى /٢٠٠

ويخاطب صاحبته ولادّة تالية شاكر لها على ماهيأته له من ذكريات عطره وأياما سعيدة فيقول"-

لقد كنت لنا روضة فيحاء طالما أمتعت أعيينا بالورد والياسمين جناه الشباب غضا ، ولقد كنت لنا بمثابة حياة مزهرة تمتعنا بزهرتها فحققنا فيها الأمانى ونلنا من اللذات ألوانا ، ولقد كنت لنا حينا من الدهر نعيماً خصباً ، البسنا من النعم ثوباً موشى تجر ذيلة عجباً واختيالاً ، ويبدى لها حزنه على ما مضى من ايام جميلة ، روضة مزهرة ذبلت وحياة ممتعه فضية ونعيما خصبا قد زال وزالت معها كل اسباب السعادة المنشودة ويتابع الشاعر مناجاته واذا كنا قد كنينا عنك بالروضة والحياة والنعيم ولم نذكر اسمك ، وهذه الصفات التى اشرنا بها اليك قدأفرد بها لا يشاركك فيها شريك فيكفيك الوصف ايضاحاً وتبيينا مغنياً عن التصريح بالاسم اكبارا واعتزازا بمنزلتها وقدرها . ويرى ابن زيدون جنّة الخلد فى رحاب ولادّة فيقول متحدثاً :

لقد كنت لنا جَنة الخلد تنعم بسلسلها وكوثرها العذب ابدلنا منها الهجر جهنم نقاسى زقومها وغسلينها ، وألان قد زال كل حميم وكاننا لم نتمتع بوصال اسعدنا فيه خطنا فأغفل عنا عيون الواشين والحاقدين .

والتعبير " بجنة الخلد " ، " زقوماً وغسلينا " يدلنا على تاثر ابن زيدون بالمنهج القرآنى

المعجم الشعرى فى القصيدة النونية :

أستطاع أبن زيدون فى قصيدتة النونية أن يكّون لنفسه معجماً شعرياً يفصح فيه عن نفسيته المتحطمة وحيرته ودهشته لما له فأراد أن يبث فيها شحنة عاطفية أو انفعالية لينفث فيها عن آلامه وهمومه وأحزانه فى سجنه (١)

والقصيدة تتميز باستيعاب تجربة الشاعرمهما تنوعت موجاتها فعلى سبيل المثال نجده فى الشطر الأول من القصيدة يختار " اضحى " بدلاً من أمسى ، ومن المعروف أن وقت الضحى من الأوقات المحببة للإنسان لأن الرؤية فيه أوضح من غيره ، فكأن الحالة التى يمّر بها الشاعر ظاهرة وماثلة للعيان .

وكذلك إيثاره الإتيان بكلمتى " تنائى ، تدانى " وما يفيده التعبير بالمصدر من كثرة مااعتزاه من أمور مؤلمة ، والإتيان بكلمة "طيب" يقال = طابَ الشىء (يطيب) (طيباً) إذا كان لذيذاً أو حلالاً فهو طيب وطابت نفسه (تطيب) أنبسطت وأنشرحت (٢) وهذا يدلنا على تخيره للكلمة المناسبة وعاطفتة

---

(١) شعر الأسر والسجن فى الأندلس /١٨٤ومابعدها

(٢) المصباح المنير غريب الشرح الكبير للرافعى / بتحقيق د/ عبد العظيم الشناوى دار المعارف (ط ى ب)

وفى قوله " لقيانا وتجافينا " إيحاء بأنه ضلّ الطريق وتحول أمنه خوفا ، وفى تعبيره " بالتجافى " مايدل على أنه أرغم على تركها ، أمّا ولادّة فقد تركته بإرادتها .

وفى القصيدة يعرض أبن زيدون الألفاظ فى لغة مكثفة ذات معان كثيرة وظلال ظليلة وهى توحى بضيق النفس من التمتع بلحظات السعادة التى يأملها فى حياته .

ويتابع أبن زيدون قصيدته بقوله " فما أبتلّت " وهى كلمة مشعة ذات دلالات كثيرة وتضفى على البيت ظلالا قاتمة وتفيد بأن بعد أبن زيدون عن ولادة جعله يتحرق من داخله لأنه أحبها بصدق وهى تبادله المشاعر الرقيقة ،" وأبتّلت" تعبر ثانية عن الشوق الذى لايجد مايطفئه . وفى قوله " جفتّ " من جفّ الثوب "يجفّ" جفافاً وجفوفا يَبَس وجف الرجل جفوفا سكت ولم يتكلم[1] وفى البيت التالى عبر بكلمة " نكاد" وهى تفيد بأنه أشفى على الهلاك ،وكذلك جاءت كلمة " تناجيكم " والمناجاة : الحديث سِراً وعّبر بالضمائر ليوحى بانشغاله الدائم بحب ولادّة ورغبتة فى القرب منها وفى إتيانه " بالأسى ، تأسينا " ما يدلنا على أنه يتأسى بالأسلاف الذين توالت عليهم المصائب ممن ابتلوا فصبروا .

---

(١) المصباح المنير (جفّ) /١٠٣

وقد نوّع أبن زيدون فى أساليبه بين الإنشاء والخبر ، وهذا التنويع يكسب الأسلوب جمالاً ويجذب أنتباه السامع ويستميله إلى متابعة الكلام ، كما أنه سلك فى قصيدته مسلك القصة فجاءت متسلسة تسلسلاً منطقياً بحيث يصعب تقديم جزء منها على الآخـــــر .

أما كلمة "المبلسينا " فى قوله :-

من مبلغ المبلسينا بْانتزاحهمو

من الدهر لايبلى ويلبينـــــــــا

*وهى قلقة فى موضعها وتبعث على السآمة والضجر *

وفى قولـه (هصرنا) ، (غصون الأنس) تعبيرات توحى بالفرح والسعادة فى رحاب ولادة والإقتراب منها . وكذلك فى " نعتب " ، " العتبى " وتكراره لكلمة " اليأس ، يأســنا، لليأس وهى توحى بالإحباط والضياع ، مما يدلنا على رغبه أبن زيــدون فــى تبليــغ رســالته من أعماق سجنه وغياهبه فيعمد دون وعى إلى المجهور لينقل إحساسه بالقهر والظلم (١)

الموسيقى الشعرية فى القصيدة :

عزف أبن زيدون قصيدته على أوتار " بحر البسيط " وهو من أنسب بحور الشعر العربى للغناء ، وأختار لقصيدته قافية النون المطلقة المسبوقة بمدة الياء وهى تحدث أنينا ممدوداً ونغماً

---

(١) من حروف الجهر " الراء والميم واللام والدال والنون والباء والعين والياء والواو والجيم والألف" ، ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د/ عبدالله الطيبّ ٤٦/١

موسيقياً حزينا يتمشى مع جو الحزن والشكوى والأنين المسيطران على القصيدة ، ففى كل بيت ينطلق فيه صوت الشاعر " بنون وألف " يشبهان إلى حد بعيد هذه الموسيقى التصويرية التى تصاحب العرض المسرحى وتهيىءالأذهان والنفوس للإندماج فيه(١) ألا ترى إلى قوله :-

غيظ العدا من تقاسينا الهوى قد عوا

بأن نغضّ فقال الدهر آمينا

فانحلّ ماكان معقوداً بأنفسنا

وانبّت ماكان موصولاً بأيدينا

وقد نكون وما يخشى تفرقنا

فاليوَم نحن ومايرجى تلاقينا

فالموسيقى تتفاعل مع المعانى لتؤدى الغاية التى سعى إليها الشاعر وذلك فى قوله " غيظ " بجرسها الموسيقى القوى ، العدا ، تساقينا ، نغضّ ، آمينا ، وهى تحمل من الشجن والأسى ، فالبيت يترجم عن معاناة الشاعر وأنه أطلق لعواطفه المكبوتة العنان مما يدلنا على أنّ القصيدة وليدة تجربة حية ، ومعانيها نابعة من صميم نفسه ، وأنّ كل فكرة تستند إلى ماقبلها ويستند عليها مابعدها .

---

(١) المنتخب من عصور الأدب د/ ذوالنون المصرى الجمل بالأشتراك ج ٢/١١٦،١١٥

مما يجعلنا نستند بقول القائل : أما الشعر فأمر وراء الأنغام والأوزان ، وما النظم بالإضافة إليه إلاّ كالحلى فى جيد الغانية الحسناء ، أو الوشى فى ثوب الديباج المعلم ، فكما أن الغانية لايحزنها عطل جيدها والديباج لايزرى به أنه غير معلم ، كذلك الشعر لايذهب بحسنه وروائه أنه غير منظوم ولا موزون [١]

ويتمثل ذلك أيضاً فى قوله : " فانحل ، ومعقوداً " ، انبت " ، موصولاً" والبيت بعده يوحى بالوحشة والضياع فى : " ومايخشى تفرقنا " واليأس المتمثل فى شطر البيت = فاليوم نحن ومايرجى تلاقينا .

فموسيقاه تحمل بين طيّاتها حزنا بعد حزن .

---

(١) النظرات / مصطفى لطفى المنفلوطى ص٢١٠ بتقديم و دراسة د/ طه وادى .

والموسيقى فى القصيدة كانت مثار إعجاب النقاد وبخاصة ممن شهدوا لأبن زيدون بالبراعة والسبق والتفوق البيانى وأنه يشتد ويلين فى ديباجته الشعرية حسبما يقتضيه القول ويدعو إليه الغرض " [١]

وأنهم وجدوا لشعره موسيقى متنوعة تحمل بين طيّاتها الخفة والرشاقة فشبهوه بالبحترى [٢] وهذة الأسباب مجتمعة أورثت أبن زيدون إشراقة فى الديباجة وجمالاً فى التعبير وعذوبة فى الألفاظ ،

---

(١) فى الأدب الأندلسى د/ بودت الركابى /٢٠٣ ومابعدها

(٢) المنتخب من عصر الأدب /٦٩ ، ٧٠ " بتصرف"

وسهوله ووضوح فى المعانى ، ويتضح ذلك فى قوله :-

ياسارى البرق غِاد القصر واسق به

من كان صرف الهوى والوّدِ يسقينا

واســأل هنالـك هـل عنّى تذكرنـــا

إلفـاً ، تذكـُره أمســى يُغيّـــــا

ويانسيـــم الصَّبـــا بلّـــغ تحيتنـا

من لـوعلى البعد حيًّا كان يُحينـــا

فالموسيقى فى الأبيات السابقة تضيف إلى المعانى التى أراد الشاعر أن يبثها عبر أجواء القصيدة شعوراً فيّاضا بتجربة الشاعر ، وتسهم بقدر كبير فى ثراء الأفكار وحيويتها بشكل يلفت نظر المتلقى ويجعله يعايش القصيدة قلباً وقالباً ، ويستقى من وحى نبضاتها دروساً وعبراً ، فقد لجأ الشاعر إلى التعبير بأسلوب النداء فى قوله : ياسارى البرق ، والنداء من الأساليب العربية الجميلة المحببة إلى النفس، فكأنه ينادى قريبا منه ويطلب منه أن يذهب مبكرا إلى قصر ولادّة ويسقيه بالماء صباحاً ليظل نديانضراً فى الحياه ، وهذا يدل على سلامة قلبه وصفاء سريرته ، فهو يحدثنا عما يكنه لساكنى القصر ويرسل إليه تحية عاطرة مع النسيم الجميل ،لتظل أواصر المودة باقية ، ويتمثل ذلك بوضوح فى قوله :-

ـ ياروضة طالما أجنت لواحظنـــا
وردا جلاه الصبّا غضاً ونسرينا
وياحيـــاه تملينـــا بزهرتهـــــا
منـًى ضـــروباً ولذات أفانينـــا
ويانعيماً خطرنـا من غضارتـــه
فى وشى نعمى سجيناً ذيله حينـــا

وياجنـة الخلـد أيدلنا بسدرتهـا
والكوثـر العذب زقّومـاً وغسلِيَنـا

ففى الأبيات السابقة يشفعنا بصورة جميلة يرتفع بها إلى ذروة عالية من ذرا الفن الرفيع ، فيناديها بقوله : " ياروضة " ،وهى توحى بمعان جميلة ، فهو يراها روضة غناء ،تنساب منها جداول الماء ، لتروى أزهارها فتزدان جمالاً ونضارة وابتهاجاً ، ثم يناديها مرة أخرى بقوله : " ياحياة" ليذكرها بأيام سعيدة مضت وسلفت ، ولعل عاطفته الصادقة وطبيعة الأندلس الجميلة وحفيف أشجارها

---

(١) فى الأدب الأندلسى /٢٠٢وما بعدها

وتغريد بلابلها قد أشتركا فى إرهاف حسه ، وموسيقاه المبدعة تصغى على القصيدة جوا من الألحان الشجيه والأمل الذى يشوبه الألم [١] ، والذكريات العطرة تمر بخاطره والحنين يجذبه إلى صاحبته ولادّة ، وقد أستقى من معينه أحمد شوقى في قوله:-

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا

بعد الهدوء ويهمى عن مآقينـــــا

لمّا ترقرق فى دمع السماء دمـــاً

هاج البكاء فخضبنا الارض باكينا

فاحمد شوقى يناجى البرق السارى ويحاوره فى جو ممتزج بالالم والحيره والتمزق ، لم يفصل اجزاء الصورة فيرى ان البرق – يرمى بموجاته الوامضه من خلال ما تمتلئ جوانحه وما بين جنباته من اشجان متصارعه كأنها السحب تلتقى فى افق السماء بشحناتها فيتطاير شعاعا وصواعق وضوءا يخطف الابصار ثم يهمى المطر

---

(١) فى الأدب الأندلسى /٢٠٢وما بعدها

ويتساقط من مآقى الشاعر ، والبرق يظهر بحمرته القانيه فى ماء السحب فيخاله الرائى دمعا داميا يهيج الاحزان ويثير المدامع التى تخضب الارض بحمرتها [١] وهى فى مجملها صورة قاتمه تبعث على الحزن وتدعو الى التعاطف مع الشاعر ليهون عليه حاله فى جو من الوحده والغربة وقسوة الاحوال عليه " فالبرق الخاطف الذى يجوب افاق الدنيا فى لحظة ،والليل الذى يلف العالم فى ثوب واحد ، والنجم الساهر المبصر ، الواصل بشعاعه بين الاحباب مهما تباعدوا ... وذكرى الوفاء ورعاية العهود التى تلقى المكان وتقرب الاخلاء .. كل ذلك اوشك ان يثب بالشاعر الى ارض الحبيبه ..فاذا لم يستطع ترك المجال لخياله ليجوب الى تلك الارض [٢]

ويعد ابن زيدون سباقا لمن جاء بعده فى هذه الصور التى ينادى فيها الروضه ،الحياه السعيده ، النعيم ، جنة الخلد وهى توحى بمعان جميلة ، فهو يتخذ من الطبيعه الحية بمظاهرها الفاتنه انيسا وجليسا ومتنفسا للحزن العميق الذى مازال يعتصر قلبه .

والقصيدة تكشف عن حاجة السجين النفسيه الى البوح والإفضاء بمكنونه النفسي .

---

(١) نصوص ادبية من العصر الحديث د / حامد ابراهيم الخطيب / ٦٨ / مطبعة الامانه / القاهره

(٢) المصدر السابق / ٦٨

وربما يستعين بذلك على احتمال المحنه ويحقق نوعا من الاتصال النفسى بين السجين وخارجه ،وبين ماضيه وحاضره [١]

وها هو ابن زيدون يستجيش المشاعر ويصور بريشة فنان موهوب ما الم به من خطوب كثيرة فى عالم قصيدته ، ويرسم صور حزينه تبرز حالته النفسية بما سيطر عليها من قلق وخوف وتهجس وما ساقه إليه السجن من ألم واهوال ، ويتعالى فى النهايه على محنته ، ويعلن انه لن يستسلم للمحن ويؤكدانه ابن التجربه .

وهو يفضى اليها بخواطر افكاره ، وخلجات مشاعره فى قوله :

ان كان قد عز فى الدنيا اللقاء ففى
موقف الحشر نلقاكم ويكفينا
اما هواك فلم نعدل بمنهله
وردا وان كان يروينا فيظمينا [٢]
فلم تجف افق جمال انت كوكب
ما ليس عنه ولم نهجره قالينا

---

(١) شعر الاسر والسجن فى الاندلس جمع وتوثيق ودراسة د / بسيم عبد العظيم عبدالقادر ط / اولى / ١٤١٦هـ /١٩٩٥ / الخانجى القاهره

(٢) واصل الايراد :الذهاب بالابل الى الماء لتشرب ، والاصدار : ارجاعها بعد الشرب

--

ولا اختيارا تجنيناك عن كثـــب
لكن عدتنا على كره عوادينـــا

ناسى عليك اذا حثت مشعشـــة
فينا الشمول وغنانـا مغشينـــا

لا اكوس الراح تبدى من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينـــا

دومي على العهد ما دمنا محافظة
فالحر من دان انصافا كما دينـــا

فالبيت الاول يتحدث عن مراد الشاعر وأنه ليظفر بلقاء صاحبته فى الدنيا فهو يأمل فى رؤيتها يوم الحشر ، يوم تلتقى الجموع من الناس ، وليست قناعتنا بذلك عن زهد فى حيكم ، اننا لم نعدل ، به حبا وان كان رينا به هو الظمأ بعينه ، ويتساءل ابن زيدون فى صمت عجيب .

كيف نجفو جمالا انت كوكب افقه

ويجيب : اننا ما زلنا اسرى له لا نستطيع له سلوا ، ولا نملك له حجرا ، ولم يكن ابتعادنا عنكم اختيار منا عن قرب ، ولكنها العوادى والمصائب ابعدتنا عنكم مكرهين تاركة هما يضطرم فى

فؤاده وكلها أحداث فوق طاقته ومقدوره ، والحق أن الكلمات التى نظم منا الشاعر ابياته من قبل "عزف الدنيا اللقاء ، مواقف الحشر ولم نعدل بمنهله ،وان كان يروينا فيظمينا ، لم نجف افق جمال ، كوكبه ، يعزف فيها الشاعر بألحان شجية و يبعث بها لتخفف عن المنصف من اعطى مصائبه بايقاع حزين رنان وهو يؤكد بأن حزنه دائم ومستمر لا يفارقه حتى فى مجلس الشراب والفناء، فلا الخمر تريحنا ، ولا الاوتار تلهينا ما دامت الحياة مصحوبة بهجر انها وقسوتها ، وهو يخاطب ملتمسا منها الا تتركه بقوله قومى على عهد المودة والوفاء وحافظى عليه كما دمنا مقيمين عليه وكوني حرة منصفة ، فالحر بقدر ما اخذ فاننا ما طلبنا بدلا منك خليلا يحبسنا عنك ، ولم نصطف حيبا غيرك يغنينا عنك اننا لا نرضى بديلا منك تحت اى اغراء ولو كان ذلك الذى يغرينا بحبه البدر المنير.

وفى الابيات ملامح صادقى للمفاجاة بين ابن زيدون وبين صاحبته وهى تبدو فى تصميمه على الاخلاص لها وانه ما حدث لا دخل له فيه وذلك فى قوله

ولا اختياراً تجنيناك عن كثـــبٍ

لكن عدتنا على كره عوادينـــــا

ليؤكد فى البداية والنهاية ان فراقه لصاحبته جاء لأمر خارج عن ارادته فهو لا ينساها ابدا مهما طالت الايام او تغيرت الظروف

والاحوال ويرجوها كذلك كذلك فى نهاية الحديث الممتع ان تظل باقية على العهد وفية له بحبها وإن عجز عن وصالها فعليها أن تذكره دائما وتلبي له دعوته فى الرد على الرساله وسيكون ذلك بمثابة خير يضاف الى حصيلة الخيرات والفضائل التى قدمتها له .

والابيات التالية تجسد معنى الوفاء وتصور رقة الشاعر ورهافة احاسيسه على الرغم من الموقف الصعب الذى عاشه وقت نظم القصيده :

فما ابتغينا خليلا منك يحبسنـــــــا

ولا استنفذنا حبيبا عنك يغنينـــــــا

ولو صبا نحونا من علو مطلعـــــــه

بدر الدجى - لم يكن حاشاك يصيبنا

اولى وفاء وان لم تبذلى صلـــــــة

فالذكر يقنعنا ولطيف يكفينـــــــا

وفي الجواب قناع لو شفعت بـــــه

بيض الايادي التي مازالت تدانينا

عليك مني سلام الله ما بقيـــــت

صبابة منك تخفيها فتخفينـــــــا

ويختتم قصيدته الغراء بالسلام عليها ما بقيت صبابة منها تذكره بالماضي الجميل ويدعوها ان ترفق به والا تخفي ما كان بينهما من ود ، فهي اعلق الناس بفؤاده والصقها بنفسه .

لقد آثر أن يحييها رفقا بها واجلالا واشفاقا عليها بالحان شجية .

وفي النهاية نستطيع القول بان ابن زيدون شاعر فنان يعرف (١) كيف ينتهي من الالفاظ اكثرها عذوبة ، وينوع فيها حسبما يتطلبة المقام ، ويختار اغناها ايحاء ، ببديع المعاني ويتضح ذلك من قوله في البيت الاول :-

.فما ابتغينا خليلا منك يحبسنـــــا

ولا استنفدنا حبيبا عنك يغنينا

فقولـه " خليلا" ، حبيبا يدلان دلالة صادقة علي المشاعر المرهفة والاحساس الصادق وفيهما تاكيد باللفظ عن طريق التكرار والمعني عن طريق الترادف نجد ذلك كله في ابيات تتالف فيها موسيقي الكلمة في ايقاعات متناسقة تهز العاطفة وتخاطب الوجدان وتنقل تجربة الشاعر الي القراء نقلا مؤثرا بكل المعاني ايضا كما تدلنا الأبيات علي ان ابن زيدون يعرف كيف يصوغ عبارته معتمدا علي اجمل ما جادت به علوم البلاغة ، من بديع الوان المحسنات وبليغ التشبيهات، وجميل الاستعارات، ولطيف الكنايات، وليس هذا بجديد

---

(١) شعر الاسر والسجن في الاندلسي ١٣٨ وما بعدها

علي شاعر استقي من جيد منظوم العرب ومنثورها في الماضي والحاضر ، وهذا يحمد للشاعر لان الماضي اساسي الحاضر ومنبع وجوده لا يشرق الا من مطلعه ولا ينبت الا في تربته [١].

(والمتادب شاعر كان او كاتبا لا يكمل لدية ولا تصغو قريحته ولا تلمع صفحه بيانه ، ولا تنحل عقدة لسانه الا اذا تمهل في روض البيان ، فاقتطف الوان زهراته من انواع شجراتة ..) [٢] وما عرضناه من نماذج متنوعه في القصيدة النونيه لابن زيدون يعكس شخصية شاعر مثابر متمكن من شعره مبني ومعني ، وانها نظمت بلغة طليه بالاضافة الي ما تميز به ابن زيدون من اصالة كما اننا نستطيع القول بان تجربة السجن فجرت عاطفة الحنين لدي الشاعر ، فلعل الله يجعل له صنعا بعد ياس ، فعنده علم الغيب وحسبها الله ، حكما عدلا عند جور الدهر [٣]

اما الموسيقي الداخلية :-

فقد جاءت متناسقه مع الموضوع الذي نظمت فيه القصيدة وهي تدل علي أن للشاعر أذن داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكله وكل حرف وحركه بوضوح تام، وتتحقق موسيقي الشعر من خلال الكلمة الجيدة التي تكتسب في الشعر حياة جمالية خاصة ، وقيما فنية تبعا لمكانتها من السياق [٤]

---

(١)النظرات / ٢٨٧
(٢)المصدر السابق / ١٩٧
(٣)شعر الاسر والسجن في الاندلس / ١٣٩ (بتصرف)

(٤)المصدر السابق / ١٩٢

ولهذا كان انتقاء الاديب لكلماته - كانتقاء الفنان لالوانه ، والموسيقي لالحانه - عنصرا هاما من عناصر الجمال ، ويرتفع بها عن مجرد التعبير الفكري المادي الي اتخاذها وحدة جمالية ومظهرا من مظاهر الفن الجمالي بعد ان لمستها عصا الشعر السحريه . [1]

والموسيقي الداخلية في قصيدة ابن زيدون توجت مقدرته علي نسج الكلمات وصياغتها بشكل يتلاءم مع الحالة الشعورية

فعلي سبيل المثال قوله :-

يا جنة الخلد ابدلنا بسلسهـــا

والكوثر العذب زقوما وغسلينا

فالقارئ للبيت يستطيع ان يلمس نواحي الجمال في انتقاء الكلمات ، فالشاعر حرم من المتعه المنشوده في جنه الخلد بسلسلها الصافي وكان مصيره النار وما يستتبع ذلك من طعام اهلها والعياذ بالله ...

وقوله كذلك :-

كاننا لم نبت والوصل ثالثنـــا

والسعد قد غض من اجفا[illegible]ينا

فالفراق ملازم للشاعر والسعادة امتزجت بحزن سرمدي لا نهاية له

---

(١) شعر الاسر والسجن / ٢٠٥ وما بعدها

، فحظه من الحياة ان الحزن صديقة الذي لا يفارقة فيقول مواصلا رحلته من الشقاء والحيره

انا قرأنا الاسي يوم النوي سورا

مكتوبه واخذنا الصبر تلقينا

فالاسي والنوي يجسدان ما يعتمل في داخله من شعور حزين فالالفاظ تتناسب مع الصورة التي رسمها الشاعر لوجدانه مما جعلها تحدث تجاوبا مع الموسيقي بشكل يجعل الاذن تطرب لها ، وتهتز منها اوتار القلوب ، شاهدة علي الحس الموسيقي والوعي الفني الذي عرف عن ابن زيدون وإيمانه بدور الموسيقي الحقيقي في التصوير الشعري .

****

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي اشرف المرسلين سيدنا محمد افصح الناطقين ، وعلي اله واصحابة ومن تبعهم باحسان الي يوم الدين . **وبعـــــــد**

فهذه دراسة موضوعية عن ابن زيدون وقصيدته النونية نجملها فيما يأتي -

١- ان القصيدة من الأدب السامي الذي تزجيه العواطف الصادقة والتجارب الموحيه التي تتصل اتصالا مباشر بوجدان الشاعر وتشف عن مكنون انساني نبيل

٢- البداية فيها تنم عن وحدة موضوعية جاءت فيها القصيدة بمثابة جسد واحد ووحده فنية متكاملة البنيان .

٣- الافكار متنوعه يمزج فيها ابن زيدون بين القديم والحديث ويصل الحاضر بالماضي معتمدا علي ذوقه وملكاته الابداعيه

٤- الموضوع الذي طرحه الشاعر في القصيده وطريقة العرض تدلنا علي منزلته الرفيعه ، فهو لم يجنح الي الالفاظ الدارجه انما جاء بنمط عال في التشبيه ووصف الشوق والحنين بشكل يجعل القارئ يعايش التجربة ويشارك الشاعر مأساته .

٥- العاطفه صادقة وقويه وهي مشحونه بهيام الشاعر بولادة ، وكل امانيه في لقياها والحياة بجوارها ، والمشاعر محتدمة وذلك

للاحداث المؤلمه التي فجرت كوامن قلبه ، وانطقته بشعر عذب سلكه من سلك المتيمين --

٦- التعبير جميل يعكس قدرة الشاعر علي انتقاء الالفاظ التي تجسد ماساته ويكشف عن مخبوء صدره ومكنون مشاعره تجاه الاحداث المؤلمه التي عصفت به وجعلته يسجل في شعره صرخات مؤلمه وحيره وذهول

٧- الموسيقي حافلة بالمشاهد يعزف فيها الشاعر علي اوتار حزينه بقواف رنانه ذات جرس صاخب ، وهي في مجملها تنم عن وجد ممض وشقاء ممتد بغير انتهاء .

فهرس البحث

الموضوع الصفحة

العنوان : ابن زيدون المخزومي وقصيدته النونيه

دراسة تحليله نقدية

نبذه عن الشاعر وبيئته

شاعريه ابن زيدون وأثرها علي أدبه

آراء النقاد في ابن زيدون

الأميرة ولّادة وصلة ابن زيدون بها

التصوير الأدبي وروافده

المعجم الشعري في القصيدة

الموسيقا الشعرية في القصيدة

خاتمة البحث.....

مراجع البحث :-

أولا المصادر:-

١- تاريخ الادب العربي / احمد حسن الزيات

٢- تاريخ الادب العربي د/ عمر فروخ، دار العلم للملايين

٣- ديوان ابن زيدون بشرح ا/ كامل كيلاني ، دار صادر بيروت

٤- الذخيره في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني / دار الثقافة

٥- شعر الأسر والسجن في الأندلس _ جمع وتوثيق ودراسة د/ بسيم عبد العظيم عبد القادر / ط اولي ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م الخانجي / القاهرة

٦- عصر الدول والامارات _ الاندلسي _ د/ شوقي ضيف / دار المعارف

٧- في الادب العربي الحديث / بحوث ومقالات نقدية د/ يوسف عز الدين / الهيئه المصرية العامة للكتاب / ١٩٧١ م

٨- في الادب الاندلسي د/ جودت الركابي / دار المعارف

٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل / جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي / دار المعرفة / بيروت – لبنان

١٠- المنتخب من عصور الأدب د/ ذو النون المصري الجمل بالاشتراك / عالم الكتب / القاهرة

١١- ميزان الشعر عند العقاد / ا.د / مصطفي أبو كريشة
١٢ – النظرات / مصطفي لطفي المنفلوطي بتقديم ودراسة د / طه وادي / دار الصفوة
١٣-نصوص أدبية من العصر الحديث ا.د / حامد ابراهيم الخطيب / مطبعة الأمانة القاهرة

١٤ – النقد الادبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال / النهضة المصرية / القاهرة
١٥- وفيات الزمان وابناء انباء الزمان لابن خلكان بتحقيق د/ احسان عباس دار صادر – بيروت / لبنان

ثانيا المعاجم:-

(١)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي
/ بتحقيق د / عبد العظيم الشناوي دار المعارف .